(٧)

الإسلام والمرأة

محمد صلى الله عليه وسلم كان عظيما فى صدقه حتى سمى بالصادق الأمين، وكان عظيما فى خلقه، حتى كان أشرف الخلق كلهم أجمعين. وحتى قال القرآن الكريم فيه:

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ (القلم ٤)

ولهذا كانت دعوته كما يقول عليه الصلاة والسلام (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). وعندما يسأله أبو هريرة رضى الله عنه وما حسن الخلق يا رسول الله فيقول صلوات الله عليه: (تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك).

وهكذا كانت دعوة الإسلام دعوة إلى الحق وإلى الخلق الحسن وإلى الحب بين الناس والألفة والود، دعوة لا إجبار فيها ولا قهر ولا عنف، ويقول سبحانه وتعالى:

فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ (الغاشية ٢١-٢٢).

ويقول جلت قدرته أيضا:

فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ

(الشورى ٤٨)

وهكذا كانت الدعوة الإسلامية دعوة تخاطب القلوب وتخاطب الوجدان فتنفذ إلى

أعماق النفوس فتحيى فيها خير ما أودع الله فى النفس البشرية من محبة وخير وصفاء. دعوة أعطت كل ذى حق حقه فقد أعطي للرجل حقه وللمرأة حقها وللصغير حقه وللوطن حقه وللنفس البشرية حقها. وإذا كانت حقوق الرجل مكفولة إلا أن حقوق المرأة كانت مسلوبة منذ القدم لا تتمتع بما يتمتع به الرجل، فهى التى لاقت من الظلم فى الجاهلية ما لاقت وتحملت من أذى الأهل ما تحملت، وهل أظلم من أن يئد الأب ابنته دون سبب أو جرم جنته، لكنه الخوف من العار كما كانوا يتحدثون ويقولون وهم المسئولون عن انحرافها وإعوجاجها إذا انحرفت عن الصواب أو إعوج سيرها إن كانوا يفقهون. وهكذا عن النور عميت الأبصار وعن الخير أغلقت القلوب وعلى الشر طبعت وعودت النفوس ويحدثهم ويحذرهم القرآن الكريم عن يوم القيامة، وما هم فاعلون فيه:

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ (التكوير ٨ ـ٩).

كما يصف حالهم سبحانه وتعالى فيقول:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩﴾

(النحل ٥٨ـ٥٩)

وهكذا كان حال المرأة قبل الإسلام تقابل قبل أن يراها نور الدنيا وتراه مقابلة لا يرضاها إنسان لإنسان فتسود الوجوه ويتوارى أبوها عن الناس من سوء ما بشر به. حتى إذا كبرت وهو على بقاءها على قيد الحياة غير راض أو مطمئن، ولكن لا يلبث أن يزين له الشيطان وأدها حتى يتخلص مما قد تسببه له من خزى أو عار. وإذا كان هذا هو حال المرأة فى الجاهلية فإن حالها كان ولا يزال فى بعض الأمم المتحضرة سلعة تباع وتشترى كأى سلعة من السلع، ليس لها حق فى الميراث، منقوصة الأهلية ليس لها حق فى ممارسة شئونها المالية والقانونية اللهم إلا بعد أن يأذن لها وليها الشرعى ويرضى.

فهى ليست حرة فى أن تبيع وتشترى، وهى ليست حرة فى أن تتصرف فى مالها وعقارها.

والمرأة نصف الأمة كما يقال عليها تبعات جسام فبصلاحها يصلح النشء فهى الحاملة وهى المرضعة وهى المربية وهى الساهرة بالليل وهى المضحية براحتها وسعادتها فى سبيل سعادة الابن وسعادة البنت وسعادة الزوج بل وسعادة البيت كله والعائلة كلها إذا أردنا أن نضع الأمور فى نصابها. فإذا كانت هذه رسالتها وهذه هى أهميتها فلا أقل من أن تجد نفسها فى المكانة التى ترضاها ونرضاه نحن لها.

ويأتى الإسلام بهديه ورحمته ويبعث الله محمد عليه الصلاة والسلام ويقول القرآن الكريم فى شأنه:

وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ (الأنبياء ١٠٧)

وكما يقول أيضا لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ (التوبة ١٢٨)

ويسوى الإسلام بين الرجل والمرأة بغير تفرقة بينهما أو تمييز فى التكليف والجزاء. فمن عمل صالحا من ذكر أو أنثى كان له الجزاء الأوفى وليجزيهم ربهم بأحسن ما كانوا يعملون. استمعوا لقوله تعالى:

مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

(النحل ٩٧)

ولم يفرق القرآن الكريم بين الرجل والمرأة المخطئة فكلاهما فى نظر القرآن الكريم آثم يستحق العقاب، وهذا عدل لا ريب فيه والمخطئ لابد وأن يلقى جزاءه، ذكرا كان أم أنثى وهكذا يقول الذكر الحكيم:

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾

(النور ٢)

ثم يزيد القرآن الكريم على ذلك فيحيط المؤمنات بتشريع يحميهن من أن يرميهن رامٍ فيبقى عليهن طاهرات صالحات:

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤﴾ (النور ٤)

فكأنما يريد الله جلت قدرته إن لا تثبت تلك الجريمة على المؤمنة وإلا فليأت من يدعى بأربعة شهداء يشهدون على أنها قد أخطئت، وتلك رحمة من الله تختص بها الشريعة الإسلامية دون باقى الشرائع. أما الذى يرمى زوجته فيحدثنا القرآن الكريم عنه فيقول:

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾

(النور ٦ـ٧)

ثم يقول القرآن الكريم:

﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٨ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩﴾ (النور ٨ـ٩)

ولقد كانت المرأة فى بعض الأمم الحديثة كما كانت من قبل تحرم غالبا من الميراث، إذ أن الميراث حق للرجل دون الأنثى، ومن الأمم المتحضرة فى عصرنا هذا ما تقصر الميراث غالبا على الإبن الأكبر وحده دون الأبناء ولكن الإسلام يأتى ويسجل

للمرأة حقها في الميراث، كما يرث الرجل لأنه ما كان الله ليخلقها ثم يظلمها أو يهملها أو ليحرمها من خير والديها مهما كانت قيمته ومهما قل هذا المال أو كثر.

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ (النساء ٧)

ورب قائل يقول ولكن نصيب الأنثى نصف نصيب الذكر، وهذا حق لا جدال فيه لأن الله الذى شرع هذا التشريع جعل نفقة المرأة كلها على الرجل مهما كان ثراؤها ومهما كانت أموالها وأملاكا وبهذا جعل الله القوامة للرجال على النساء حتى تستقيم الأمور.

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ

(النساء ٣٤)

وأن الإنسان الذى يستمع لقوله تعالى:

إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ (الأحزاب ٣٥)

ليحسي بمقدار ما في هذا التعبير الدقيق من المساواة بين المرأة والرجل فهى مطلوب منها أن تقوم بما يقوم به، عليها أن تسلم وتؤمن وتقنت وتصبر وتخشع وتتصدق وتصوم وتحفظ نفسها وتذكر الله كثيرا كما يطلب من الرجل تماما، عندئذ كان لها كما له مغفرة من الله وأجرا عظيما.

ثم يزيد القرآن الكريم على ذلك كثيرا فيؤكد إنها مثل الرجل بل هى جزء منه لا تختلف عنه فهى منه وهى له، ولا يقول القرآن ذلك فى آية واحدة بل يعيدها ويؤكدها فى آيات كثيرة، وفى أكثر من موضع مبينا أن المرأة من الرجل خلقها منه وخلق منهما رجالا ونساء.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

(النساء ١)

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا

(الأعراف ١٨٩)

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

(النحل ٧٢)

ويقول سبحانه وتعالى فى آية أخرى:

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾

(الزمر ٦)

فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾

(الشورى ١١)

وهكذا يتحدث القرآن الكريم عن المرأة وأنها من جنس الرجل ليست غريبة عنه

فهي ليست من جنس آخر غير جنسه فهي قد خلقت لتكون له ومعه، ولم يقل القرآن الكريم مثلكم بل قال سبحانه وتعالى من جنسكم، ومن أنفسكم بل ويقول أيضا أنه خلقنا من نفس واحدة ثم خلق منها زوجها، وفي هذا تأكيد على الأصل الواحد والوحدة الكاملة في الجنس بين الرجل والمرأة والجنس الواحد والأصل الواحد لا يكونان أبدا مدعاة للتنافر بل هما على العكس دعامتان يقوم عليهما الحب وترتكز عليهما الألفة وتؤديان إلى الرحمة والود.

ثم يتحدث القرآن الكريم عن مكانة المرأة ودورها في حياة الرجل فيقول سبحانه وتعالى:

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾

(الروم ٢١-٢٢)

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا

(الأعراف ١٨٩)

وهكذا ينتقل القرآن الكريم من أن المرأة خلقت من الرجل فهي من جنسه لا من جنس آخر. وهكذا تكون المساواة بلا قيد أو شرط، ولكنه يبين في أكثر من آية كما استمعنا العلاقة بين الرجل والمرأة تلك العلاقة التي اختار فيها المفكرون جميعا (لتسكنوا إليها) وهذا تعبير آخر جميل ودقيق بقدر ما هو عظيم ومعجز فلم يقل سبحانه وتعالى لتخدمكم، ولم يقل لتنجب لكم ما تشاؤون من البنين والبنات، ولم يقل لترفه عنكم ولكنه يقول قولا يجمع كل ذلك وغير ذلك فيقول وقوله الحق (لتسكنوا إليها) والسكن هنا الهدوء والإطمئنان والراحة فإن الإنسان إذا أزعجه شيء أو

خاف من شيء بحث عن مكان يسكن فيه، ويحتمي به، وهكذا يقول القرآن الكريم لتسكنوا إليها فهي الركن الذي خصه الله بالحنان وخصه بالهدوء جعل فيه الإطمئنان وزاده الله من فضله بأن جعل فيه المودة والرحمة. يا سبحان الله سكون وهدوء ورحمة وهكذا يضع الله سبحانه وتعالى المرأة في أحسن صورة يمكن أن توضع فيها فهي السكن، وهي الهدوء، وهي المودة، وهي الرحمة، وهكذا يصفها من خلقها بأشرف الصفات ويضعها في أعلى مكان.

وعلاقة المساكنة بين الزوج وزوجه هي الأساس المتين لبناء الأسرة المتينة لينشأ جيل جديد سليم يعتز به الأبوان ويعتز به الوطن ويعتز به الدين. والمساكنة هنا تنبعث من غريزة طبيعية يصفها وينظمها من خلق وأبدع هذا الكون فيرتفع بالإنسان الذي خلقه وكرمه الى مكانة عليا أرادها له وهيأوه لها حتى لا يكون مثل الحيوان الأعجم الذي لا تتعدى علاقته بأنثاه المحافظة على النوع فقط.

حتى إذا قيل كل هذا عن المرأة لا يقف القرآن الكريم عند هذا الحد بل يوصي بها الرجال خيرا فيقول:

وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ (النساء ١٩)

ويقول في تعظيم حقهن:

وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ (النساء ٢١)

وهنا يبين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي لا ينطق عن الهوى كيف يعامل المرء زوجه فيقول (خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي).

ومما يؤثر عنه صلوات الله عليه أنه كان يسابق السيدة عائشة رضي الله عنهما في العدو فتسبقه يوما، ويسبقها في بعض الأيام فيقول صلوات الله عليه هذه بتلك.

ومما تحكيه السيدة عائشة أيضا عن رسول الله أنها سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فيسألها رسول الله (أتحبين أن ترى لعبهم) فتقول نعم فيرسل إليهم رسول الله فيجيئون ويقف صلوات الله عليه بين البابين وهكذا تقول

السيدة عائشة ثم يضع كفه على الباب ومد يده فوضعت ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وانظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك وأقول أسكت مرتين أو ثلاثة ثم قال يا عائشة حسبك فقلت نعم فأشار إليهم فانصرفوا. ويقول رسول الله (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله). وهذا توجيه كريم وسنة جميلة ودعوة إلى المعاملة الطيبة بين الزوج وزوجته، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل استمعوا لما يحكى عن رسول الله إنه كان بينه وبين السيدة عائشة رضى الله عنها كلام مما استدعى أن يدخل بينهما أبا بكر رضى الله عنه حكما، ويقول صلوات الله عليه (تكلمين أو أتكلم) فتقول السيدة عائشة (بل تكلم ولا تقل إلا حقا) فيلطمها أبوها حتى دمى فوها قائلا يا عدية نفسها أو يقول غير الحق. عندئذ تستجير عائشة برسول الله وتقف خلف ظهره فيقول النبى الكريم لم ندعك لهذا، وما أردنا منك هذا. هذا مثل من الحب والود والرحمة والمعاملة الطيبة التى يجب أن تكون بين الزوج وزوجته لا عداوة ولا عدوان، ولا ظلم ولا إنتقام، هكذا يعلمنا رسول الله وهكذا يضرب لنا الأمثال فى حياته الخاصة ومعاملاته الخاصة.

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾

(الأحزاب ٢١)

وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾

(الحشر ٧)

وما ذلك إلا لأن الله سبحانه وتعالى أعده لهذه الرسالة فهو لا ينطق عن الهوى ولا ينحرف عن الصراط المستقيم ويقول سبحانه وتعالى:

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾

وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ (النجم ١ـ٤)

ثم تأتى الشريعة الإسلامية لتعطى المرأة حقها الذى لا ينازع فى مالها فهى حرة فيه ليس لزوجها أن يأخذ من مالها إلا ما قد تسمح به نفسها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾

(النساء ١٩)

﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤﴾

(النساء ٤)

حتى إذا دب الخلاف بين الزوج وزوجه والخلاف بين الناس سنة من سنن الحياة فما أكثر ما نختلف وما أكثر ما يدب الخلاف والشقاق بين الأهل والأصحاب لأتفه الأسباب ولا يترك الإسلام هذا الأمر دون أن يضع له تشريعا وسياسة ونظاما استمعوا لقوله تعالى:

﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥﴾

(النساء ٣٥)

ويقول سبحانه وتعالى أيضا:

﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨﴾

(النساء ١٢٨)

وهكذا حتى إذا عجز الحكمان عن الإصلاح واستحال التوفيق بينهما وكان الفراق ويقول القرآن الكريم:

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ

مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ (البقرة ٢٢٩)

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ (البقرة ٢٣١)

وإمساك المرأة على كره منها لا علاج له بل هو ضرر لها وللزوج وهكذا يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾.

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ (النساء ١٩)

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ (النساء ٢٠ـ٢١)

وهكذا تنظم الشريعة الإسلامية حقوق المرأة وتحميها مما قد يخطر ببال الرجل وتمنعه من أن يظلمها إذا كرهها بل عليه أن لا يأخذ مما آتاها وعليه إن أراد إما أن يعاشرها بالمعروف أو يسرحها بالمعروف.

وإذا كان بعض كتاب الغرب يعيبون على الإسلام الطلاق فما أكثر ما تسمع الآن بمحاولات لإباحة الطلاق وقد أباحته فعلا بعض البلدان لإعتقادها فى شرعيته

وضرورته فى كثير من الحالات حيث يكون هو الحل الوحيد الذى لا حل غيره للبقاء على سعادة الرجل وسعادة المرأة.

وليست المرأة فى كل الأحوال هى الواقعة تحت رحمة الرجل إن شاء أبقاها وإن شاء تركها، ولكنه، قد يجوز أن تكون العصمة بيدها إن اشترطت هى ذلك قبل الزواج فيكون زمامها بيدها، والحياة الزوجية أمانة فى عنقها إن شاءت أبقت عليها، وإن شاءت فالأمر متروك لها وهكذا يكون لها ما للرجل فى الإمساك أو التسريح.

وقد يعترض معترض أن الطلاق وهو أبغض الحلال عند الله مجحف بمصلحة الأولاد، ولو أن الإسلام قد بين حدوده فيما اشترط فيه من نفقة وحضانة ورضاعة ورعاية وما من عاقل يقول أن تربيته الأبناء بين أبوين غير متفاهمين ولا متحابين خير للأبناء بل هو شر لهم ولآبائهم.

والقرآن الكريم يبين ذلك فى محكم آياته فيقول:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾ (البقرة ٢٣٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ

(سورة الأنفال)